قمة ايفران ـ خاتمة علنية لمسار طويل

موضوعياً، وعلى الصعيد العربي بعامة، والفلسطيني بخاصة، لم يكن لقاء القمة في ايفران (١٩٨٦/٧/٢١ ـ ١٩٨٦/٧/٢٣)، بين الحسن الثاني، ملك المغرب، وبين رئيس حكومة اسرائيل، شمعون بيرس، مفاجأة او حدثاً مثيراً وغير متوقع، الا اذا اعتبرنا ان الاعلان عن النية في عقد اللقاء، والدعوة الصريحة اليه، في اكثر من مناسبة، شيء، واخراجه الى حيز التنفيذ شيء آخر. واذا جاز التحدث عن مفاجأة، فربما كان يحتمل ان تكون، لو ان اللقاء وما تخلله، قد انتهى الى خلاف ما انتهى اليه. ولا يغير في الامر شيئاً تأكيد الطرفين ان القصد من وراء اللقاء لم يكن اجراء مفاوضات، بل فقط «الحوار»، على حد تعبير بيرس (**معاريف**، ١٩٨٦/٧/٢٤)، او مجرد «تبادل الآراء»، على حد تعبير الناطق باسم رئيس الحكومة الاسرائيلية، اوري سابير (**دافار**، ١٩٨٦/٧/٢٤)، او الاستماع من زعيم اسرائيلي مسؤول ورفيع المستوى، الى موقف اسرائيل من مشروع السلام العربي، على حد تعبير الملك الحسن الثاني في اكثر من مناسبة، كان آخرها خطابه الذي وجهه الى الامة، في اعقاب انتهاء لقاء القمة في ايفران (نص الخطاب في «وثائق» ص ٦٣ ـ ٧٠).

وكما يبدو، فالملك الحسن الثاني لم يسقط من حساباته، في سياق دوافعه واهدافه المتوخاة من اللقاء، اضفاء طابع المفاجأة والاثارة عليه، رغم سلسلة تصريحاته التمهيدية بشأن استعداده لعقد لقاء قمة مع رئيس الحكومة الاسرائيلية، شمعون بيرس. لكنه، وكما يتضح من تصريح ادلى به مصدر مغربي موثوق لمراسلة صحيفة «معاريف»، تمار غولان، كان يبغي ان تكون المفاجأة والاثارة في المضمون وليس في الجانب الاجرائي فقط. فالمصدر المذكور يشير الى انه كان لدى المسؤولين المغاربة (اي الملك) انطباع بان بيرس سيحمل معه الى اللقاء «مقترحات جديدة ومثيرة للاهتمام» (**معاريف**، ١٩٨٦/٧/٢٤). وهذه المقترحات «الجديدة والمثيرة للاهتمام»، هي التفسير لما نسبته مصادر صحافية اسرائيلية اخرى الى الملك، من انه اشترط، في الاتصالات التي سبقت عقد اللقاء، «الالتزام بالحفاظ على سريته، حتى يتقرر الاعلان عنه خلال المحادثات» (**المصدر نفسه**، ١٩٨٦/٧/٢٥). لكن الملك اخطأ في حساباته مرتين: اولاً، في تقديره لالتزام الاسرائيليين بالحفاظ على سرية اللقاء حتى بدء المحادثات، والخطأ هنا ناجم، في الاساس، عن سوء التقدير لمدى الاهمية التي يعلقها الاسرائيليون، وبيرس شخصياً، على علنية اللقاء ودلالاته العملية على الصعيد السياسي وحتى الاستراتيجي في سياق الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وهذا احد جوانب الخطورة الكامنة في اللقاء، واحد ابعاده السلبية. فالاسرائيليون لم يكتفوا بالاعلان عن الزيارة قبل بدء المحادثات، بل سربوا النبأ الى مسامع الاميركيين قبل ذلك، الامر الذي تحقق منه الملك عبر الاتصال الهاتفي الذي اجراه معه الرئيس ريغان مقترحاً عليه عقد اللقاء في واشنطن في اثناء زيارته اليها، كما جاء على لسان الملك الحسن الثاني، في خطابه الى الامة الذي